التآخي
الخميس ١٢/ ١٠/ ٢٠١٧ العدد ٧٤٥٤
Number(7454) Thursday 12.10.2017

سيرة العالم الدكتور نوري جعفر

عالم في التربية وعلم النفس ورائد في التنوير والاصلاح





نوري جعفر العالم البصري العراقي التنويري ١٩١٤- ١٩٩١, هو الأستاذ المتمرس والبرفيسور في (نيروسايكولوجي) علم النفس المستند الى الدماغ وعلوم التربية والتعليم، أغنى المكتبة العراقية بالعشرات من المؤلفات والكتب في هذه الاختصاصات المتنوعة وعلى مراحل طويلة وصلت لحدود ٤٥ كتابا، وابدع بها جميعا.

انفرد اسلوبه الادبي الثر بتقريب المادة العلمية الجافة بطبعها ونظرياتها الصماء الى ذائقة الجمهور العريض

توفيق التميمي

القسم الاول

تميز في مؤلفاته باسلوبه الساحر الاخاذ الذي يمسك بلباب القارئ منذ الوهلة الاولى ويقوده الى نهايات فصوله برغم وعورة الموضوعات العلمية التي يتناولها وصعوبتها ولاسيما في موضوع فسلجة الدماغ الذي تميز به وربطه بموضوعات ممتعة ومثيرة، كموضوع النبوغ والمواهب والذكاء والقدرات الذهنية، كما جهد في استخلاص صور التنوير من تراثنا العربي واعادة قراءة رموزه الكبيرة كالجاحظ والمتنبي والحريري في مقاماته ورسائل أخوان الصفا وغيرها من الموضوعات بطريقة معاصرة فذة في تحليلها واستنباطاتها .

انفرد اسلوبه الادبي الثر بتقريب المادة العلمية الجافة بطبعها ونظرياتها الصماء الى ذائقة الجمهور العريض، فله الفضل الاكبر علي وعلى اقراني في تحبب قراءة الكتب العلمية التي كنت عازفا عن قراءتها قبل معرفتي بعالم نوري جعفر التأليفي، فما تزال القطيعة بين الادباء والعلماء قائمة في ثقافتنا العراقية بخلاف ثقافات عربية اخرى، ولهذا يندر ان نجد طبيبا اوعالما فيزيانيا او كيميائيا يشتهر في عالم الادب كما في نماذج المبدعين الشاملين في مصر وبلاد الشام والمغرب العربي. يمكن ان يعد نوري جعفر إنموذجا غريبا في الثقافة العراقية على هذا المستوى وفي صميم هذه الظاهرة، حيث انتج نوري جعفر كتبا علمية مثل (الفكر تطوره وطبيعته) (الانسان في ضوء فسلجة بافلوف بجزأيه)وغيرها من العناوين العلمية ،ولكنه قدمها باسلوب شائق وممتع ،ولغة جذابة استقطبت قراء الادب والعلم على السواء .

نوري جعفر احد رموز التنوير التي قدمتها بعثات العهد الملكي المدني في بواكير النهضة العراقية عقب تأسيس الدولة العراقية، لكن طبيعة تقاليد الثقافة العلمية الشعرية وسيادة رموزها اعاقت بروز هذه القامات العملاقة المعرفية التي تزهو برموز النهضة والتنوير، وكما اغفلت دورها في الثقافة العراقية. فمنذ غيابه - ١٩٩١ وباستثناء جهود فردية قام بها د نجاح كبة في كتابه (نوري جعفر وآراؤه التربوية والنفسية والاجتماعية ط١ بغداد ٢٠٠٤) والباحث ياسر جاسم قاسم في كتابه القيم (نوري جعفر رجل النهضة والاصلاح ط١ ٢٠١١ دمشق) ، وبرنامج هذا أبي (قناة الاتجاه - ٢٠١٣). لم نر استذكارا لهذا العالم الفذ، او اضاءة معرفية تستحقها سلسلة المؤلفات الموسوعية التي انجزها في سنوات عمره الجليل ،ولم تفكر عمادة كلية التربية في جامعاتنا ولاسيما البصرة المولود في بطائحها ، ان تطلق اسمه على احدى قاعاتها التدريسية التي درس فيها طالبا في مدارسها الابتدائية والثانوية ،ولم تفكر مؤسسة حكومية ولا مدنية باعادة طبع اعماله ،والتي بدأها منذ مطلع خمسينات القرن السابق برغم ندرتها واهميتها ،ولم يجهد احد الباحثين نفسه في تتبع المسيرة العلمية المكللة بالنجاح في اروقة الجامعات العربية والعالمية لعالمنا العراقي البصري د. نوري جعفر.

السيرة(١):

الولادة والنشأة

في قضاء القرنة بمحافظة البصرة وفي عام ١٩١٤ ابصر النور الطفل نوري ابن الفلاح جعفر الذي لم يقدر مواهب ابنه ونبوغه المبكر ، ليصبح نوري احد ابرز العلماء في العالم في مجال علم النفس والتربية بحسب تقييم رئاسة المجلس الدولي للموهوبين في المملكة المتحدة والولايات المتحدة الامريكية الذي انتدبه من بين خمسة من العلماء النفسانيين في العالم لالقاء محاضرات تربوية ونفسانية في هذا المجلس .

في المقابلة التلفزيونية مع الاعلامية والمترجمة السيدة ابتسام عبدالله في برنامجها الثقافي الخالد (سيرة وذكريات) الذي كان التلفزيون العراقي يبث حلقاته مطلع سبعينيات القرن الماضي، يقول نوري جعفر عن هذه المرحلة: (والدي فلاح بسيط ووالدتي بنت عمه ..غير ان اباها في نظر اهل البلدة اكثر وجاهة من ابي ،ولها في الحقيقة الاثر الكبير في تكويني ،وكانت هادئة وكثيرة التحمل وتقرأ القرآن وكان ذلك في العشرينيات ولي شقيق واحد هو راضي ، وعندما فتحت مدرسة ابتدائية في القرنة ١٩٢٦ الحت امي على الوالد ان يأخذني ويأخذ شقيقي ويسجلنا في المدرسة ولكنه مانع ومانع بعنف ،هو لم يكن مرتاحا لي كثيرا لاني كثير الحركات على حد وصفه ، لذا وافق على تسجيلي انا فقط في المدرسة معتقدا ان المدرسة كان فيها نوع من عقوبة لي . قال (والدي) آخذ هذا فقط، واشار الي، قالت امي خذه.اخذني والدي الى المدرسة، واعطتني والدتي القران.دخلنا المقابلة مدير المدرسة الطيب الذكر الاستاذ ياسين الملاحويش. قال والدي: هذا ابني اريد ان اسجله، وهو يقرأ القران.طلب المدير ان اقرأ ... ارتجفت بشكل لا يطاق بحيث وقع القران من يدي تناولته, قبلته، وفتحته لا على التعيين, ولم انظر اليه كنت ارتجف. وبدأت اقرأ الايات التي حفظتها بشكل مذهل الحمد، تبت يدا .... الخ. انتبه المدير

> **في قضاء القرنة بمحافظة البصرة وفي عام ١٩١٤ ابصر النور الطفل نوري ابن الفلاح جعفر الذي لم يقدر مواهب ابنه ونبوغه المبكر**



> **شهد عام ١٩٥٤ حدثين مهمين في تاريخ العراق اولهما كان فيضان بغداد الذي وقع نهاية اذار من ذلك العام، والثاني هو حادثة تزوير الانتخابات البرلمانية**

قال: تعال بقربي. نظر، فوجدني امسك القران بالمقلوب... شجعني، وسجلني في الصف الثاني. أحببت المدرسة بشكل لا يوصف , وكان اهتمامي كبيراً بدرس الرياضيات، واللغة العربية، وبالتاريخ.

بين سندرسن باشا ومتي العقراوي بين خريجي الثانوية كان نوري جعفر الاول على لواء البصرة بمعدل ٩٤% من الفرع العلمي ،حمل شهادة البكالوريا وأوراقه وجاء الى العاصمة بغداد قاصدا كلية الطب لتحقيق حلم طفولته وهو واثق من تحقيقه بسبب درجاته العالية ومؤهلاته العلمية لكنه رُفض قبوله في كلية الطب من عميدها الإنكليزي الطبيب سندرسن باشا (طبيب العائلة المالكة لاحقا) بسبب الظروف المادية. مما دعاه الى تحويل أوراقه الى دار المعلمين العالية ودعم في قبوله ومساعدته العميد د متي العقراوي, بعد ان تلمس علامات نبوغه واعجب بدرجاته العالية ،ليكون من ابرز طلابها واساتذتها لاحقا .

كان الأول في أول دورة خريجي دار المعلمين العالية (ما تسمى اليوم بكلية التربية). وقد عبر عنها (كنت أرغب في الدخول الى كلية الطب ولكن تراجعت بسبب الظروف المادية, ولو خيرت - بعد ان تعرفت على تخصصي - فلن أدخل ألا الى كلية التربية, ولو يطلب مني أن أتخصص فلن أتخصص ألا في التربية وعلم النفس, لانها في الواقع جزء مني).

صداقة مع جون ديوي

بعد حصوله على البكلوريوس بتفوق اصبح معيدا في الدار ثم ذهب الى القاهرة للدراسة في (معهد التربية العالي) منتصف الاربعينيات من القرن السابق، وبعدها تمكن من الحصول على بعثة دراسية الى امريكاه ١٩٤٤م ليحصل من هناك على شهادتي الماجستير و الدكتوراه ب(خمس) سنوات، وكانت دراسته بخصوص فلسفة التربية للفيلسوف الامريكي منظر الفلسفة البراغماتية وصاحب الريادة العالمية في افكار التربية وعالم النفس الفيلسوف الامريكي جون ديوي الذي من جهته أعجب بذكاء الطالب العراقي ونباهته وتنبأ له بمستقبل زاهر يخدم به بلده والإنسانية جمعاء فاصبح له استاذا وصديقا وزميلا في الاختصاص التربوي لاحقا ..وعن هذه المرحلة يروي نوري جعفر ذكرياته للاعلامية ابتسام عبدالله في برنامجها سيرة وذكريات فيقول :(عندما ذهبت في بعثة علمية الى الولايات المتحدة لاكمال دراساتي العليا في تخصصي التربية وعلم النفس بين عامي ١٩٤٥/ ١٩٤٩ ..ومن حسن الحظ صار لي اتصال بالفيلسوف (جون ديوي) ،اذ صارت لي علاقات شخصية معه واهداني احد كتبه ...ولم يكن مشرفا علي بل كان متقاعدا حين تعرفت عليه ولكنني ارتبطت معه شخصيا امكث عنده في البيت وآخذ المعلومات منه ..بقيت عنده في شقته بنيويورك شهرا باكمله كنت اقرا كتبه واحفظها جملا وكانها من بنات افكاري وكنت وقتها من الطلبة البارزين المبتعثين للولايات المتحدة الامريكية وكان يصلني كل ثلاثة اشهر كتب شكر وتقدير لمستواي العلمي من سعادة السفير علي جودة الايوبي.) ويمكن اعتبار لقاءه القدري بجون ديوي منظر البراغماتية والديمقراطية هو احد مؤثرات التنوير في سيرة العلامة نوري جعفر اللاحقة .

واقعتان مهمتان

شهد عام ١٩٥٤ حدثين مهمين في تاريخ العراق اولهما كان فيضان بغداد الذي وقع نهاية اذار من ذلك العام، والثاني هو حادثة تزوير الانتخابات البرلمانية التي اقدمت عليها حكومة نوري السعيد حيث الغت نتائج فوز اكثر من ١١ مقعدا للقوى اليسارية والديمقراطية ،وما حدث للعلامة د. نوري جعفر في دائرة مدينته القرنة الانتخابية يعد مثالا صارخا لهذا التزوير ،عندما عمدت حكومة نوري السعيد لتحطيم صناديق الاقتراع التي امتلات باسم الدكتور نوري جعفر المرشح عن دائرة مدينته القرنة مع زميله اليساري (عامر الحسك) واستبدلتهما بالتزوير بمرشحيهما وهما اصلا من خارج قضاء المدينة ،الا ان نوري جعفر لم يستسلم وهو الموظف الحكومي الحاصل على شهادة الدكتوراه من الولايات المتحدة الامريكية وبأختصاص نادر في العراق ،فملأ صفحات الصحف بالاحتجاج على فضيحة التزوير وعار الغاء الانتخابات حتى تم استدعاؤه من قبل رئيس الوزراء آنذاك ارشد العمري ودار بينهما حوار متشنجا و تاريخيا يكشف شجاعة ووطنية نوري جعفر ،وتم فصل نوري جعفر من وظيفته التعليمية عقب هذه المحاورة التي طلب فيها العمري من جعفر ان يكفَ عن مقالاته الانتقادية للحكومة في الصحف وفضحه لعملية تزوير الانتخابات ، الا ان العالم نوري جعفر رفض تلك المساومة حتى لو كان الثمن خسارة وظيفته , و عبر عنها جعفر (سأواصل الكتابة في الصحف لأشرح مأساة القرنة الأنتخابية ولتفعل الحكومة ما تشاء) .

نوري جعفر في الجامعات العربية والعالمية عند عودة الدكتور نوري جعفر الى بغداد عام ١٩٥٠ عُين أستاذا في كلية التربية (دار المعلمين العالية) التي تخرج منها ليكون واحدا من المع الكفاءات التي اسهمت في بناء جيل علمي ،حتى مجيء (جلاوزة الحرس القومي) عام ١٩٦٣ اذ فصل من وظيفته ظلما في قائمة ضمت اكثر من ١٠٠ استاذا في مختلف التخصصات العلمية والانسانية لاسباب سياسية ، وليكون عرضة للظروف القاسية التي مرت في العقود الماضية وتحت ضغوط عديدة منها ماهو سلطوي مباشر فاجبر على الهجرة والتدريس في الجامعات التالية:

أستاذ ورئيس قسم علم النفس في كليتي التربية والشريعة بمكة - المملكة السعودية - ١٩٦٤

أستاذ ورئيس قسم علم النفس في كلية الأداب في بنغازي - ليبيا ١٩٦٥-١٩٦٩

أستاذ ورئيس قسم علم النفس في كلية الأداب في الرباط - المملكة المغربية ١٩٧٠ - ١٩٧٣

أستاذ زائر في علم النفس بجامعة شفيلد البريطانية - المملكة المتحدة ١٩٧٤

أستاذ متمرس في كلية التربية جامعة بغداد ١٩٧٥ - ١٩٨٣

أستاذ محاضر في كلية الأداب - جامعة الكويت ١٩٧٧

أستاذ محاضر في جامعة مونتريال ١٩٨٣

أستاذ محاضر في جامعة بوردو الأمريكية ١٩٨٤

أستاذ الدراسات العليا قسم علم النفس في جامعة الفاتح - ليبيا ١٩٩١.

> **بعد حصوله على البكلوريوس بتفوق اصبح معيدا في الدار ثم ذهب الى القاهرة للدراسة في (معهد التربية العالي) منتصف الاربعينيات من القرن السابق**

